٨٣

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرل للتنمية والدراسات الإسلامية

مشروعية التوسل في الكتاب والسنة

الشيخ احمد عبد الرضا ترف الطائي

1435هـ - 2014م

مشروعية التوسل في الكتاب والسنة

من المسائل التي شنع بها الوهابية وبعض الفرق المخالفة على اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام مسألة التوسل الى الله تعالى بأوليائه من الأنبياء والاوصياء عليهم السلام حيث استدل الكاتب على مشروعيته من الكتاب الكريم والروايات الشريفة وساق روايات لبعض رموز المخالفين ممن توسل الى الله تعالى بأحد اوليائه.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه وأشرف بريته سيدنا المصطفى المبعوث رحمة محمد وآله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، ولعنة الله على أعدائهم آجمعين.

وبعد: لقد حاول البعض اخفاء الحقيقة الواضحة من خلال نشر الشبهات من اجل تظليل وانحراف الناس عن جادة الصواب فكان من الواجب علينا ان نجيب هذه الشبهات وبيان العقيدة السليمة الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وآهل بيته الكرام، فارتأيت ان أقدم هذا الكتاب المتواضع، واسأل الله ان يتقبل منا هذا العمل وكل الأمل والرجاء ان يرحمنا الله برحمته الواسعة وان تشملنا شفاعة رسوله الكريم واهل بيته الكرام لا سيما الامام أمير المؤمنين (ع).

الذي جعله الله قسيم الجنة والنار ..... انه سميع مجيب.

التوسل على ضوء الآيات القرآنية:

أن التوسل الى الله بأوليائه لأجل حل المشاكل المادية والمعنوية من اهم المباحث واكثرها نقاشاً بين الفكر الوهابي وسائر المسلمين في العالم، ويرى سائر المسلمين بجواز التوسل بأولياء الله الا أن الوهابية يصرحون بعدم جواز التوسل بالنبي وأهل بيته ويعتبرونه نوعاً من الشرك لأنه مخالف لكثير من الآيات القرآنية المباركة كما يزعم هؤلاء وهذه شبهة قد طرأت على الوهابية لتمسكم بظاهر الآيات ونذكر بعض هذه الآيات:

١- قال تعالى: ((فلا تدعوا مع الله أحداً)) [١]

٢- قال الله تعالى: ((أدعوني أستجب لكم)) [٢] .

٣- وفي آية اخرى قال الحق تعالى: ((واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعاني))[٣] .

٤- قال الله تعالى: ((والذين ـ يدعون من دونه لا يستجيبون لهم شيء))[٤] .

٥- قال الله تعالى: ((ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))[٥] .

فيتمسك الوهابيون بهذه الآيات المباركة على عدم جواز التوسل بالصالحين، وايضاً يقولون بأن التوسل الى الله بأوليائه مخالف لقول الرسول محمد (ص) إذ قال لابن عباس: (إذ استعنت فاستعن بالله واذا سألت فأسأل الله)[٦] .

وفي الحقيقة هذه شبهة قد طرأت على الوهابية حينما استدلوا بظواهر هذه الآيات المباركة على نفي التوسل بأولياء الله، هذا من جانب ومن جانب يقولون على فرض ان التوسل بالرسول الكريم (ص) جائز فهو حال حياته وفقاً لبعض الروايات لكن هذا دليل على جوازه بعد مماته بحيث يعتبرون العصا انفع من رسول اله (صلى الله عليه وآله) بعد مماته،

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦.
(٢) سورة الرعد الآية ١٤.
(٣) سورة الزمر الآية ٣.
(٤) سورة الزمر الآية ٣.
(٥) سورة الزمر الاية ٣.
(٦) مسند أحمد ج١ ص٣٣.

ولكن للأسف الشديد وبسبب هذا الكلام الفاقد للدليل قام الوهابيون باتهام الكثير من المسلمين بالشرك والكفر وأباحوا دماءهم وأموالهم وبهذه الذريعة الباطلة قاموا بسفك دماء كثيرة ونهبوا الكثير من الأموال.

وقبل ان نجيب على هذه الشبهة المطروحة لا بأس ان نتعرف على مفهوم (التوسل).

الوسيلة لغة:

يقول ابن منظور في كتابه المعروف (لسان العرب) وسئل فلان الى الله وسيلة اذ عمل عملاً تقرب به اليه.

وقد جاء في حديث الأذان (اللهم آت محمداً الوسيلة) أي ما يتوصل به الى الشي ويتقرب به ، والراد به في الحديث القرب من الله تعالى وقبل هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل هي منزلة من منازل الجنة .[٧]

وقال الراغب – وسل- الوسيلة بمعنى التوصل الى الشي برغبةٍ وهي اخص من الوصيلة لتضمنها المعنى الرغبة – قال تعالى: ((وابتغوا إليه الوسيلة))[٨].

وعندما نقف على الآيات التي استدل بها الوهابيون على عدم جواز التوسل، ففي الحقيقة هذه الآيات مرتبطة بالعبارة ولا يوجد أحد يقوم بعبادة اولياء الله، لأن العبادة لا تكون الا الله تعالى فهو المعبود الوحيد الذي يستحق العبادة، هذا من جانب ومن جانب آخر حينما نريد أن نفسر الآيات القرآنية ينبغي علينا ان نفهم أمرين.

الأمر الاول: ان تفسير الآيات القرآنية ان لا يتصادم مع العقل السليم.

الآمر الثاني: وان تفسيرها لا يتنافى مع الآيات القرآنية الأخرى، فأن هذين الأمرين لا بد من ملاحظتهما.

---

(٧) لسان العرب

(٨) الميزان .

فحينما نأتي الى هذه الآية المباركة ((فلا تدعوا مع الله أحداً)) فليس المراد حرمة دعوة غير الله مطلقاً لآن هذا مخالف للعقل السليم والا لو قلنا بذلك سوف يستلزم أن دعوة الاستاذ لتلميذه حرام وشرك، ودعوة الأب لأبنائه حرام وشرك، ودعوة الزوج لزوجته حرام وشرك ودعوة الرئيس لأبناء شعبه حرام وشرك، ولا أحد عاقل يقول بهذا الكلام.

اذن دعوة غير الله ليست محرمة ولا شرك اذا لم تصل الى حد الاعتقاد بألوهية الغير مع الله وعبادتهم مع الله ، فاذا قلت (يا محمد) واعتقدت بألوهيته واستقلاله في التأثير مع الله واستقلاله بالتأثير هذا حرام وشرك، واذا قلت (يا علي) واعتقدت بألوهية (علي) وعبادته من دون الله او مع الله واستقلاله بالتأثير هذا حرام وشرك ، وهكذا اذا اعتقدت بألوهية أهل البيت (ع) واستقلالهم في التأثير فهذا حرام وشرك وهذا واضح ولا يقول به أحد ان دعوة الغير مع الله هي ليست محرمة اذا لم تصل الى حد الاعتقاد بألوهية الغير مع الله وعبادتهم، واستقلالهم في التأثير.

وأما الأديان الأخرى الي تمسك بها الوهابيون على عدم جواز الاستعانة بغير الله كقوله تعالى ((وإياك نستعين))[٩] وكذلك في الحديث الشريف الوارد: (اذا استعنت فاستعن بالله واذا سألت فأسأل الله)[١٠] فهي غير شاملة لكل استعانة بالآخرين لأنه يتنافى مع الآيات القرآنية الاخرى يتنافى مع قوله تعالى: ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا))[١١] ويتنافى مع قوله تعالى :((واستعينوا بالصبر والصلاة))[١٢] اذن نجد ان الحق تعالى أمرنا ان نستعين ببعض الامور وهذا ليس شرك ولا حرام ، كما ان سؤال ودعوة الغير اذا لم يصل الى حد الاعتقاد بألوهية وعبادته ليس شركاً وهذه الامور جميعاً لا تتعارض مع التوحيد.

---

(٩) سورة الفاتحة
(١٠) مسند أحمد
(١١) سورة المائدة
(١٢) البقرة اية ٤٥

أهم الأدلة التي تدل على مشروعية التوسل:

وأما الآيات التي نستدل بها على مشروعية التوسل هو ما جاء في الكتاب الكريم قال تعالى: ((يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة))[١٣] أي اطلبوا اليه القربة ، تقول توسلت إليه أي بتقرب اليه ، وكما يصلح الطلب من الله مباشرة فكذلك يصح مع اتخاذ الوسيلة، والناس كانوا يتوسلون ويستشفعون بالنبي (ص) في حياته وبعد مماته.

وقد ورد في بعض الروايات ان المراد من الوسيلة في قوله تعالى: ((وابتغوا اليه الوسيلة)) هم آهل البيت (ع).

فقد قال رسول الله (ص): (الائمة من ولدِ الحسين (ع) من أطاعهم فقد اطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى وهم الوسيلة الى الله تعالى).

وقال أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى: ((وابتغوا الية الوسيلة)) يقول (ع). انا وسيلته

وأما الأحاديث التي نستدل بها على مشروعية التوسل فهي كثيرة جداً، وهناك مجموعة من الروايات توكد على استشفاع المسلمين واستشفاءهم ببركة النبي (ص) وتبركهم بأثارة في حياته واليك بعض الروايات.

فقد جاء في صحيح البخاري: عن سهل بن اسعد أن رسول الله (ص) قال: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه...)) فبات الناس يدركون، أي يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجون أن يعطاها فقال أين علي؟ فقيل يا رسول الله يشتكي عينيه فأرسل اليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء ، وفي رواية اخرى (أن النبي (ص) اذا توضأ كانوا يقتتلون على وضوئه) وفي رواية اخرى قد روى البيهقي ، أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر بن الخطاب فجاء بلال بن الحرث الى قبر النبي (ص) وقال رسول الله استسقي لأختك فأنهم هلكوا)[١٤]

([١٣]) سورة المائدة / اية ٣٥.

([١٤]) السنن الكبرى للبيقي .

فلو كان نداء النبي (ص) والتوسل به شركاً كما فعله بلال الذي صحب النبي (ص) مدة غير قليلة وأخذ الاحكام عن الرسول (ص) لنهى عنه بقية الصحابة، وكانوا يستسقون ببركة وجه النبي (ص) حتى قال ابو طالب وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل [١٥].

فنقول إذا كانوا يستسقون ببركة وجه النبي (ص) وكانوا يتبركون بأثارة حتى أمرنا القرآن باتخاذ الوسيلة، فاذا كان كل ذلك صحيحاً حسب دلالة الكتاب وبالسنة لقطعية فلماذا يحرم علينا ان نتوسل بالرسول.

وسأذكر حديثين مختارين من جملة الأحاديث الكثيرة المنتشرة في كتب الحديث والتأريخ من طرق ابناء العامة.

الحديث الاول: عن عثمان بن حنيف انه قال: ((إن ضريراً اتى النبي (ص) فقال: أدع الله ان يعافيني، فقال انبي (ص): إن شئت دعوت، وان شئت صبرت وهو خير)؟ قال الضرير فأدعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء: ((اللهم إني اسألك واتوجه اليك بنبيك بني الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم، فشفعه في))

قال ابن حنيف : فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا ، أي الرجل الضرير ، كأن لم يكن به ضير ، ولقد أورد هذا الحديث كل من النسائي والطبراني والترمذي والحاكم في مستدركه ودلالة هذا الحديث تتضح بأدنى تأمل: أن النبي (ص) علم هذا الرجل الضرير أن يتوسل الى الله بنبيه نبي الرحمة محمد (ص) ويشفعه لقضاء حاجته[١٦] .

([١٥]) اصول الكافي :ج١ ص٤٤٩.
([١٦]) الوهابية في النيران .

وروي ان سواد بن قارب توسل بالنبي (ص) بهذه الآبيات: [١٧]

وأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة الى الله بابن الأكرمين الاطائب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما فيه تسبب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بمفنٍ قتيلاً عن سواد بن قارب[١٨]

والحديث الثاني: عندما توفيت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله (ص) فجلس عند راسها فقال: رحمك الله يا امي ثم دعا اسامة بن زيد وابا ايوب الانصاري وغلاماً اسوداً يحفرون، فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره سول الله (ص) بيده واخرج ترابه فلما فرغ دخل فيه ثم قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذي قبلي))

رواة الطبراني في الكبير والاوسط ، وابن حبان ، والحاكم وصححوه[١٩]

وواضح من دعاء النبي (ص) حين قال ((بحق نبيك والانبياء الذي قبلي)) أنه (ص) توسل الى الله بحقه وبحق الانبياء قبله، وذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة) هذين البيتين ونسبهما للشافعي – امام المذهب:

آل النبي ذريعتي وهم اليك وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي [٢٠]

يقول الامام علي (ع) في دعاءٍ له:

(بحق محمد وآل محمد عليك وبحقك العظيم عليهم أن تصلي عليهم كما انت اهله وان تعطيني افضل ما اعطيت السائلين من عبادك الماضيين من المؤمنين وافضل ا تعطي الباقيين من المؤمنين))[٢١].

([١٧]) الوهابية في الميزان ص١٧٧.

([١٨]) = = = .

([٢١]) الصحيفة العلوية

ويقول الامام الحسين سيد الشهداء في دعاء يوم عرفة:

((اللهم إنا نتوجه اليك في هذه العشية التي فرضتها وعظمتها، وبمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك))

ويقول الامام زين العابدين (ع) في دعائه بمناسبة حلول شهر رمضان : ((اللهم إني أسئلك بحق هذه الشهر وبحق من تعبد فيه من ابتدائه الى وقت فنائه من ملك قربته او نبي ارسلته او عبد صالح اختصصته))[٢٢]

وقد جرت سيرة المسلمين في حياة النبي (ص) وبعد وفاته على التوسل بأولياء الله والاستشفاع بمنزلتهم وجاههم عنده، واذكر شاهد على ذلك.

كتب المؤرخ ابن الاثير: ((واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس – عم النبي (ص) لما أشتد القحط فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض فقال عمر: هذا والله الوسيلة الى الله.

وقال حسان الشاعر في ذلك هذه الابيات:

سأل الامام تتابع جد بنا فسقى الغمام بغمرة العباس

عم النبي وصوفه والده الذي ورث النبي بناك دون الناس

أحيى الاله به البلاء فأصحبت مخضرة الاجناب بعد اليأس

فلو تتأمل في تعبير عمر وهو واضح (هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه)[٢٣]

وقد أجاز المولى التوجه بالسؤال الى الانبياء والاولياء بالتوسط في الدعاء وقضاء الحوائج ، ففي القرآن الكريم حكى سبحانه سؤال أبناء يعقوب (ع) وهم الاسباط أباهم يعقوب بأن يستغفر لهم وذنوبهم ولم يوبخهم يعقوب (ع) على قولهم هذا ولم يرد في القرآن ما ينهى عن مثل هذا القول – بل قول يعقوب (ع) لأبنائه قال: (سوف استغفر لكم ربي أنه هو الغفور الرحيم))[٢٤].

---

(٢٢) الصحيفة السجادية دعاء رقم ٤٤.
(٢٣) الوهابية في الميزان .
(٢٤) سورة يوسف / اية ٩٨.

وهذا دليل على جواز مثل هذا السؤال بالتوسط في الدعاء والاستغفار والاستعانة والتوسل بهم الى تعالى ، والا لكان من المفروض شرعاً ، ان لم يكن مثل هذا التصرف جائزاً – ان يقول يعقوب (ع) – لأبنائه – لا تقولوا مثل هذا وتوجهوا الى الله مباشرة بطلب المغفرة لأنه لا يغفر الذنوب الا الله ولا ينبغي السؤال الا الى الله ومن خلال هذه الأدلة الواضحة والجلية على جواز التوسل بالنبي (ص) في حياته وبعد مماته، بعد أن عرفنا أن النبي (ص) لا يختلف في كرامته عند الله حياً وميتاً لأن الموت في منطق الإسلام ليس الا فناء الجسد وبقاء الروح والروح ذات الاثر وليست قضاء الحاجة بيد النبي (ص) كي يقال انه ميت فلا فائدة للطلب منه بل بيد الله تعالى ، فالله تعالى يقضي حاجه من يطلب من النبي (ص) تكريماً لنبيه .

نعم يعتقد محمد بن عبد الوهاب ان عصاه انفع من رسول الله (ص) لأن الرسول (ص) كان يستفاد منه ولكن عصاه يتوكل عليها ويرشد الناس ففيها فائدة، الا أن هذه العقيدة عقيدة باطلة وهي عقيدة الحادية مستوردة من الشيوعية لان الشيوعية الملحدة تعتقد بهذه العقيدة الفاسدة اذ يقول: ان الانسان إذا مات صار معدوماً والمعدوم لا يستفاد ومنه فكيف يتوسل العاقل بالمعدوم؟

فهذه عقيدة باطلة وفاسدة ولا دليل عليها.

اذن بعد ما قد كنا وبيناه وثبتنا مشروعية التوسل الى الله من خلال الانبياء والاولياء لانهم واسطة الى الله.

الفهرس

المقدمة	٢
التوسل على ضوء الآيات القرآنية	٣
التوسل لغة	٤
أهم الأدلة التي تدل على مشروعية التوسل	٦
الفهرس	١١